



مى زيادة

الجمال الذكى .. والذكاء الجميل



فى فبراير عام ١٨٨٦م ولدت " مارى إلياس زاخور زيادة " التى اشتهرت فيما بعد باسم " مى زيادة " فى قرية الناصرة بفلسطين ، قضت أيام طفولتها فى كسروان ، وعين طورى ثم جاءت إلى مصر فجمعت بين روح الجبل وروح النيل ، وبين جمال اللغة العربية ورشاقة اللغة الفرنسية ، فكان لهذا المزيج الرائع الأثر الكبير على جمال أسلوبها ورقة ورشاقة كلماتها .

كانت " مى " شخصية لطيفة تحب حبًا خالصًا ، ولكنها واجهت صراعات فى حياتها إثر صدمات متتالية ، فقد مات أبوها ، ثم ماتت أمها بعد فترة قصيرة ، فاهتزت " مى " كثيرًا لموت والديها وبعد فترة توفى أيضًا الشاعر " جبران " الذى كانت تكين له ودًا ومعزة خاصة .

أما أمها السيدة " زهرة معمر " الفلسطينية الجنسية فقد تزوجت من "إلياس زاخور " اللبناى الجنسية وكان يعمل مدرسًا بفلسطين فى ذلك الوقت ثم عاد إلى وطنه لبنان مصطحبًا معه زوجته وابنته حتى عام ١٩٠٨م ثم انتقلت الأسرة إلى القاهرة حيث قام " إلياس " بإصدار جريدة " المحروسة " جريدة يومية سياسية باللغة العربية واتجهت " مى " إلى تعلم أصول وقواعد اللغة العربية ، والفلسفة الإسلامية ثم التحقت بالجامعة المصرية ، وبدأت فى نشر مقالاتها الأدبية فى مجلات : المحروسة ، والهلال ، والمقتطف ، والزهور ، وكانت تتقن ثمانى لغات عدا اللغة العربية ، إلا أنها نشرت أول كتاب لها باللغة العربية عام ١٩١٢م (رجوع الموجة) ثم ألغت ديوان شعر بالفرنسية وقصة باللغة الإنجليزية ، كما ألغت كتبًا كثيرة من بينها (أزاهير حلم) ، (دمعة وابتسامة) ، (بين المد والجزر) ، (ظلمات وأشعة) ، (كلمات وإشارات) ، (غاية الحياة) ، (الصحائف) ، (باحثة البادية) .

وكانت مشكلة (مى) الأساسية هى حاجتها إلى الانتماء فكتبت تقول :
" لقد ولدت فى بلد ، وأبى من بلد ، وأمى من بلد ، وسكنى فى بلد ،
وأشباح نفسى تنتقل من بلد إلى بلد ، فلأى هذه البلدان أنتمى ؟ وعن أى
هذه البلدان أدافع ؟ ! " .

لم تتكرر قصة " مى " فى تاريخ الأدب العربى المعاصر فقد ظهرت " مى " مع ظهور النهضة الحديثة التى نادى بها " قاسم أمين " فى عام

١٩١١م، بدأت "مى" فى إقامة " صالون أدبى فكرى " يعقد يوم الثلاثاء من كل أسبوع بمنزلها بالقاهرة ، ثم انتقل هذا الصالون عام ١٩٢٢م إلى الدور الذى قدمته لها جريدة الأهرام لتقيم به صالونها الأسبوعى ، واستمر حتى نهاية الثلاثينيات ملتقى الأدباء والشعراء والمفكرين والصحفيين الذين تنافسوا على حب " مى " .

كانت مى محدثة لبقة ، مثقفة ، حديثها جذاب ، عبقرية تستطيع التحدث والتحاور فى مختلف الموضوعات بخفة ورشاقة وجاذبية .

وكان من رواد صالونها الأدبى العديد من الشخصيات العظيمة مثل طه حسين ، والعقاد ، والزيات ، ومصطفى الرافعى ، وآخرين .. كان كل من يسمعها أو يقرأ لها يقع فى حبها بشكل أو بآخر ، فقد كان " جبران خليل جبران " يعيش فى المهجر ومع ذلك كان قلبه ينبض بحب " مى " ، والرافعى وهو يعيش فى طنطا ، كان تأثير " مى " على أدبه تأثيراً واضحاً، بل وأثرت فى أيام حياته كلها منذ عرفها وحتى وفاته .

كان الجو العام حول " مى " مليئاً بالمشاعر، إما رجال يعترفون بمشاعرهم لها أو آخرون ترى إعجابهم فى عيونهم ، ولكن من أحبت " مى " من كل هؤلاء؟!

كانت مى على الرغم من انفتاحها على المجتمع الأدبى وإقامة صالونها الخاص بها منطوية على نفسها ، تعيش فى برج بعيد عن الحياة ، وكانت شخصية محافظة ، كتومة ، ولا تفضل اللهو ، وكانت لا تقبل النصح أو التوجيه فى تغيير أسلوب حياتها . نجد فى حياة مى عقدة ما ربما كونتها الأيام والصدمات العديدة التى واجهتها فى حياتها .

نعود للسؤال المحير.. من أحبت مى ؟ !

لقد كان شبلى شميل ، ويعقوب صروف عالمين كبيرين أحبا مى ، حتى أن شبلى شميل وهو عالم فلك نظم أشعاراً فى حب مى ، أما يعقوب صروف فقد كانت مى تبادله عاطفته فقد كانت تراسله كثيراً ، وتحكى له عن حياتها ومعاناتها .

وهناك قصة أخرى جمعت بينها وبين أمين الريحانى وقصتها مع " أنطون الجميل " ولعل هذه القصة من العوامل التى أثرت على حالتها النفسية ، فلقد امتدت هذه العلاقة العاطفية العذرية حوالى ١٣ عاماً من عام ١٩١٥ إلى ١٩٢٨ ولم تخل من المشاكل والصدمات .

وهناك قصة أخرى أشد وأقوى وهى قصتها مع مصطفى صادق الرافعى ، الذى أحب " مى " من أعماق قلبه ولكن هل كانت مى تبادله هذا الحب؟ هذه كانت لمحة حول علاقة " مى " بمن أحبها وربما من أحبتهم ، ولكن يبقى حب " مى " واضح المعالم .

لقد حاول " الرافعى " أن يتزوج " مى " ولكن شيئاً كان يقف فى وجه هذه الفكرة ، وهى أن " مى " شخصية عامة يحبها الجميع ويحبون أديها ، وشعرها وهذه الفكرة لم تكن ترضى طبع الرجل الشرقى الحساس .

ولعل هذا ما أثر أكثر فى نفسية " مى " الحياة المنقسمة التى عاشتها ، فهى شخصية عامة ومحبوبة فى زمن كانت المرأة لا تمارس أى نشاط فكرى ، أو أدبى ، كانت المرأة منعزلة تماماً عن الحياة الاجتماعية فأصبحت " مى " ظاهرة فريدة من نوعها .

أما مأساة " مى " فيقال : إن بعض أقاربها عابوها بعد موت والديها وادعوا أنها أصيبت فى عقلها ، ونقلوها إلى مستشفى العصفورية فى لبنان حيث أضاف هذا المستشفى متاعب جديدة إلى " مى " .

بالإضافة أيضاً إلى أنها عندما عادت من لبنان ، وكما يصفها " سلامة موسى " كانت سيدة بيضاء الشعر ، كأنها فى السبعين من عمرها ، لقد قاست فى المستشفى كثيراً ، ثم عادت فلم تجد أحداً ينتظرها أو يترقبها ، كانت تضحك مرة ، وتبكي أخرى ، وكانت دموعها تنهمر بالبكاء ، ثم بعد لحظات يراها تضحك !

وبلا أدنى شك لم تظهر أديبة عربية حظيت بمثل ما حظيت به " مى زيادة " من شهرة ، أحبها وعشقها معظم عباقرة عصرها من المفكرين والأدباء والشعراء والنبلاء ، أحبها عباس العقاد ، وصادق الرافعى ، ومصطفى عبد الرازق وولى الدين يكن ، و خليل مطران وأنطوان الجميل ، وأحمد لطفى السيد وطه حسين ، وجبران خليل جبران وآخرون كثيرون ، كانت بالنسبة لهم الملهمه والحببية التى تطيب الجراح والقلب الذى التف حوله الكثيرون ، ولكنها ماتت وحيدة ، ولم تجد من يشفى جراحها ، سئمت الحياة وضافت بالدنيا وفارقت الحياة عام ١٩٤١ وبقيت ذكراها خالدة فى عالم الأدب النسائى المعاصر .

